سلسلة محاضرات في القانون الدولي الإنساني **السنة الجامعية 2020 - 2021**

من إعداد الأستاذ: نصر الدين بوسماحة
كلية الحقوق والعلوم السياسية. جامعة وهران 2.

الموضوع: محاضرة تمهيدية للتعريف بالقانون الدولي الإنساني

توطئة:

يعتبر القانون الدولي الإنساني أحد التخصصات القانونية التي تحظى باهتمام كبير على المستويين الدولي والوطني، رغم حداثته مقارنة بفروع قانونية أخرى، ومع ذلك فهو يشهد تطورات بوثيرة متسارعة يعجز في بعض الأحيان حتى أهل الاختصاص على مجاراتها ومسايرتها.

نستهل هذه المحاضرة الافتتاحية بالاستشهاد بآيتين من القرآن الكريم، ليس لغرض تفسيرها والوقوف على معانيها الدقيقة حتى لا نتطاول على أهل الاختصاص في هذا المجال، بل لتكون منطلقا نقف من خلالها على إثبات واقع العلاقات الدولية.

قال الله تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ) (البقرة: من الآية251)

وقال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحج آية 40.

إن أبسط معنى يمكن الوقوف عنده من الآيتين أن علاقة الإنسان بالإنسان لا تكاد تخلوا من الصراع، الذي قد يتخذ مستويات وأشكال متعددة، تصل في أبشع صورها إلى الاقتتال، وأن الظلم قائم لا يزول إلا بالدفع الذي شرع لمن وقع عليه الظلم. بمعنى أن القتال ومواجهة الظالم، أمر تفرضه سنة الحياة وإلا كانت العواقب وخيمة كما تدل على ذلك الآيتين الكريمتين.

إن التمعن في مضمون الآيتين ولو بشكل سطحي، يدفعنا إلى الابتعاد عن المثالية التي يرمي إليها البعض في تنظيم العلاقات الدولية، ومساعيهم المبذولة في تحريم شتى أنواع استخدام القوة في العلاقات

الدولية، كما يسهل علينا من جهة ثانية فهم واقع العلاقات الدولية، سواء بشكلها الذي نطالعه من الوثائق التاريخية، أو الذي نعيشه في أيامنا المعاصرة.

إحصائيات عن الحروب:

وكمثال بسيط عن الدراسات التي أشرنا إليها في السابق، الدراسة التي أعدتها مؤسسة كارنجي للسلام[1] عام 1940 عن حروب العالم في التاريخ. إذ يبين إحصاء ضمته الدراسة أنه من العام 1496 قبل الميلاد إلى غاية العام 1861 ميلادية. أي فترة زمنية قدرها 3357 سنة عرفت البشرية 227 سنة من السلام مقابل 1130 سنة من الحروب. بمعدل 13 سنة من الحرب مقابل سنة من السلام.

في إحصاء آخر حديث يظهر أنه خلال 5560 سنة منذ عرف تاريخ البشرية حتى عام 1945 حدثت 14531 حربا، بمعدل 2,6 حرب في العام.

كما تفيد إحصائية أخرى أنه من بين 185 جيل لم ينعم بسلم مؤقت إلا عشرة أجيال فقط[2].

هذه إحصائيات منقولة عن بعض الدراسات وأكيد أن هناك دراسات تعطي أرقاما أخرى من زوايا مختلفة، على أن ذلك لا يهم ما دام أن جل الدراسات تثبت لنا واقع العلاقات الدولية والإنسانية بصفة عامة، الذي حاولنا الوقوف عنده من خلال الآيتين الكريمتين.

التفرقة بين قانون اللجوء إلى الحرب وقانون الحرب:

من المفاهيم التي يجب توضيحها في الدراسات الخاصة بالقانون الدولي الإنساني ضرورة التفرقة ما بين قانون اللجوء إلى الحرب، المعروف باللغة اللاتينية Jus ad bellum والمقصود به القواعد التي تنظم اللجوء إلى القوة. وبين قانون الحرب المعروف باللاتينية Jus in bello والمقصود به القواعد القانونية التي تحكم العلاقة بين المتحاربين.

---

[1] منظمة غير حكومية، تأسست عام 1910 مقرها الرئيسي بواشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية، ولها فروع في عدد من عواصم دول العالم. الفرع العربي الخاص بالشرق الأوسط يقع مقره في بيروت.

[2] محمد عزيز شكري "تاريخ القانون الدولي الإنساني وطبيعته". ضمن دراسات في القانون الدولي الإنساني، دار المستقبل العربي، القاهرة، 2000. ص 11.

الفرق الجوهري بينهما يكمن من حيث الغاية، فالمساعي الرامية إلى تأطير حق الدول في اللجوء إلى الحرب من عدمه، هي من اختصاص القانون الدولي العام، الذي مر في ذلك بعدة مراحل من الحق المطلق أو الحق السيادي للدولة في إعلان الحرب كجزء من حقوقها السيادية إلى غاية تبني المادة 2 فقرة 4 من ميثاق الأمم المتحدة التي تمنع استعمال القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية. بينما القانون الدولي الإنساني وباعتباره أحد فروع القانون الدولي العام، فلا يسعى لإطلاقا إلى منع اللجوء إلى الحرب أو تجريم ذلك، بل يسعى إلى ضبط القواعد التي تحكم الأطراف المتحاربة أثناء العمليات القتالية التي تدور بينها، جراء ما خلفته الحرب من مآسي وآلام في الغالب لم يكن لها مبرر وكان بالوسع تجالها. وبتعبير آخر، فإن القانون الدولي الإنساني يسعى لأنسنة الحرب وليس منعها، إدراكا لصعوبة أو استحالة الحيلولة دون لجوء الدول إلى إعلان الحروب فيما بينها، نظرا لطبيعة المجتمع الدولي والعلاقات التي تحكم الدول فيما بينها[3].

[3] فليج غزالان وسامر موسى، الوجيز في القانون الدولي الإنساني، طبعة تحت التنقيح، 2019، ص 06.